

أخلاقيات العلم بين الدين والفلسفة

تأثير الثورات العلمية ومواضيع أخلاق العلم بين الدين
والفلسفة

تأليف

الدكتور محمد كمال عرفة الرخاوي

الباحث والمستشار والخبير والفقير والمؤلف القانوني
والمحاضر الدولي في القانون

إهداء

إلى روح أمني الطاهرة وأبي الطاهر

الذين علماني أن الكرامة لا تُشترى وأن الحرية لا
تُوهب بل تُنتزع انتزاعاً من أغلال النفس

أدام الله لهما النور في قبورهما وجعل مثواهما
فردوساً من الجنان

وإلى ابنتي الحبيبة قرة عيني صبرينا المصرية
الجزائرية

يا من تمثلين الأمل في جيل جديد يرفض عبودية
الغريزة ويختار حرية الوعي

أهديك هذا الكتاب ليكون درعاً يحميك من سطوة
التافهين وعبث العابثين

مقدمة في سيادة الحق الإلهي على العقل البشري

إن الغاية القصوى من الوجود الإنساني لا تكمن في التراكم المعرفي المجرد ولا في السيطرة المادية على عناصر الكون بل تتجلى في إدراك الحقيقة المطلقة التي مفادها أن الله هو الخالق الحكيم القادر وأن الإنسان مجرد مستخلف مؤقت في هذه الأرض، ومن هنا تنبثق الإشكالية الجوهرية التي يحاول هذا الكتاب معالجتها وهي العلاقة الجدلية بين أخلاقيات العلم الثابتة المستمدة من الوحي الإلهي وبين الأخلاقيات الفلسفية النسبية التي تتغير بتغير الأهواء والمصالح البشرية، إن العلم بدون مرجعية دينية عليا يشبه السفينة التي تبحر في محيط متلاطم بدون بوصلة ولا مرسى معرضة للضياع في كل مرة تهب فيها رياح المصالح الاقتصادية أو السياسية، ولذا فإننا ننطلق في هذا العمل من يقين جازم بأن الدين هو الأساس وهو الحق ولا يجوز مساواته بأي نظرية بشرية قابلة للنقض والإبرام، إن القوانين الوضعية مهما بلغت من الرقي فهي ظلال باهتة للشريعة الإلهية التي أحاطت بكل جوانب الحياة الإنسانية بما فيها النشاط العلمي

والتقني، وهذا الكتاب هو محاولة جادة لتأصيل منهج علمي حضاري يرد الاعتبار للقدسي في زمن طغت فيه المادية على الروحانية.

مفهوم العلم في المنظور التوحيدي مقابل المنظور الوضعي

يختلف تعريف العلم اختلافاً جوهرياً بين المنظور الإسلامي والمنظور الوضعي الحديث ففي حين يركز الأخير على التجريب والملاحظة والنتائج المادية البحتة بغض النظر عن الغاية الأخلاقية فإن المنظور التوحيدي يربط العلم بالإيمان ويعتبره وسيلة لمعرفة الله وتقريباً منه وليس غاية في حد ذاته، فالعلم في الإسلام هو كشف النقاب عن سنن الله في الكون وهو نوع من العبادة إذا صحّت فيه النية والتزم بضوابط الشرع، أما في الفلسفة الوضعية فإن العلم قوة محايدة قد تستخدم للخير أو للشر حسب رؤية المستخدم مما

يفتح الباب أمام كوارث أخلاقية لا حصر لها، إن الفصل بين العلم والدين في النموذج الغربي أدى إلى إنتاج تقنيات مدمرة تهدد الوجود البشري نفسه بينما كان العلماء المسلمون في عصور الازدهار ينظرون إلى بحثهم العلمي على أنه تسبيح لله وشكر لنعمه، إن إعادة تعريف العلم على أنه أمانة إلهية وليس ملكية بشرية مطلقة هو الخطوة الأولى نحو إصلاح الخلل الأخلاقي الذي تعانيه المجتمعات الحديثة.

سيادة الخالق وحكمة الخلق في المعادلة العلمية

إن الإقرار بأن الله هو الخالق الحكيم القادر يفرض على الباحث العلمي حالة من الخشوع الدائم أمام عظمة الكون الذي لم يخلق عبثاً بل بقدر دقيق، فالقوانين الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية ليست صدفة عشوائية بل هي إرادة إلهية نافذة يجب على العالم أن يكتشفها لا أن يحاول تغييرها أو العبث بها، إن

محاولة الإنسان تعديل الخلق دون ضرورة علاجية ملحة تعتبر تعدياً على حق الخالق الوحيد في التصرف في ملكه، والحكمة الإلهية تقتضي أن كل ما خلقه الله له هدف ومصلحة حتى وإن خفيت على العقل البشري المحدود، لذا فإن أي ثورة علمية تتعارض مع الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها هي ثورة باطلة مهما بدا بريقها التقني جذاباً، إن العلم الحقيقي هو الذي ينسجم مع ناموس الكون الإلهي ولا يصطدم بالثوابت الدينية التي حفظها الله لحماية البشرية من نفسها.

حدود العقل البشري وإشكالية النسبية الأخلاقية

العقل البشري رغم ما أوتيته من قدرات تحليلية واستدلالية يظل عاجزاً عن الإحاطة المطلقة بالحقائق الكونية ولا يعلم المآلات البعيدة للأفعال والتجارب العلمية، وهنا تكمن خطورة الاعتماد على الأخلاقيات

الفلسفة البشرية التي تتسم بالنسبية والتغير حسب الزمان والمكان والثقافة السائدة، فما يعتبر أخلاقياً في عصر قد يصبح جريمة في عصر آخر إذا تغيرت الموازين المادية بينما الثوابت الدينية باقية لا تتبدل، إن الدين يقدم مرجعية مطلقة تحمي الإنسان من طغيان عقله عندما يتجبر على ربه، فالعقل نور يحتاج إلى شعلة الوحي ليضيء طريقه وإلا ضل في متاهات الشك والظن، إن الاعتراف بحدود العقل هو قمة العقلانية الحقيقية ويحمي العلماء من الغرور الذي قد يدفعهم لتجربة ما لا يحمد عقباه على البشرية والبيئة.

الثورات العلمية التاريخية ودروس من الماضي والحاضر

شهد التاريخ البشري موجات متعاقبة من الثورات العلمية بدءاً من الثورة الصناعية مروراً بالنووية وصولاً إلى الثورة الرقمية والبيوتكنولوجية الحالية ورغم ما

حقيقته من رفاهية إلا أنها حملت في طياتها مخاطر وجودية لم تكن محسوبة في بداياتها، إن الدرس المستفاد من التاريخ هو أن التقدم المادي بدون تقدم روحي وأخلاقي يؤدي حتماً إلى اختلال التوازن الكوني والاجتماعي، فالقنبلة الذرية كانت نتاج فيزياء متقدمة ولكنها حملت دماراً هائلاً والتلوث البيئي كان نتيجة صناعة غير منضبطة أخلاقياً، إن دراسة هذه الثورات عبر المنظور الديني تكشف عن غياب الوازع الإيماني الذي كان ليمنع الكثير من التجاوزات لو كان حاضراً في وجدان صناع تلك الثورات، لذا فإننا نحتاج إلى ثورة أخلاقية توازي الثورة التقنية تعيد فيها الدين إلى مركز القيادة والسيطرة على مسار العلم.

الفلسفة الأخلاقية وعجزها عن ضبط البوصلة العلمية

حاولت المدارس الفلسفية الغربية تأسيس أطر أخلاقية للعلم مثل نظرية النفعية ونظرية الواجب

وغيرها غير أن هذه النظريات اصطدمت بجدار الصلابة أمام التحديات المستجدة التي لم تكن في حسابان الفلاسفة القدامى، إن النسبية الأخلاقية تجعل من الحق سلعة قابلة للتفاوض فالمعايير تتغير حسب مصالح الشركات الكبرى والدول العظمى مما يفقد الأخلاق قدسيتها وحمايتها، إن غياب المرجعية الإلهية يجعل الأخلاق مجرد اتفاقيات دولية هشة تنهار عند أول اختبار حقيقي للمصالح المتضاربة، بينما الدين يجعل الأخلاق جزءاً من العقيدة التي لا تقبل المساومة لأن المساواة فيها أمام الله وليس أمام البشر فقط، لذا فإن الفلسفة وحدها لا تكفي لضبط أخلاقيات العلم بل تحتاج إلى سند ديني متين.

الدين كأساس متين ومرجعية عليا لا تقبل الجدل

إن الدين الإسلامي يقدم منظومة أخلاقية متكاملة لا تفصل بين الجانب الروحي والجانب المادي بل

تدمجها في إطار عبادي شامل، فالشريعة الإسلامية تحتوي على قواعد كلية مثل لا ضرر ولا ضرار وحفظ الكليات الخمس التي يمكن تطبيقها على أحدث الاكتشافات العلمية بدقة متناهية، إن مرجعية الدين تعطي استقراراً للنظام الأخلاقي العلمي لأن المصادر ثابتة والنصوص واضحة ولا تخضع لتأويلات المصالح الضيقة، إن الله هو الذي يحدد الحلال والحرام وليس البشر بأهوائهم المتغيرة مما يضمن حماية الحقوق الأساسية للإنسان من العبث العلمي، إن التمسك بالدين كمرجعية عليا هو الضمان الوحيد لاستمرار الحضارة الإنسانية دون انهيار أخلاقي.

مقاصد الشريعة كإطار عام لتقييم الاكتشافات العلمية

تعتبر مقاصد الشريعة الإسلامية وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال الإطار الأمثل لتقييم أي ابتكار علمي جديد قبل إقراره وتعميمه على المجتمع،

فأي علم يؤدي إلى هلاك النفس أو إفساد العقل أو تعطيل النسل أو إضاعة المال فهو علم مرفوض شرعاً حتى لو كان متطوراً تقنياً، إن هذا الميزان الدقيق يحمي البشرية من المخاطر الخفية التي قد لا يراها العلماء الماديون في بداية اكتشافاتهم، إن تطبيق مقاصد الشريعة على العلوم الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي والهندسة الوراثية يضمن بقاء الإنسان في مركز الاهتمام وحفظ كرامته التجريب والاستغلال، إن الفقه المقاصدي هو أداة قانونية وأخلاقية قوية تحتاج إلى تفعيل في المؤسسات العلمية والأكاديمية حول العالم.

العقل والنقل والتكامل المعرفي في بناء الحضارة

لا تعارض حقيقي بين العقل الصحيح والنقل الصحيح بل إن التكامل بينهما هو سر النهضة الحضارية الحقيقية، فالنقل يحدد الثوابت والحدود بينما العقل

يكتشف الوسائل والأسباب ضمن هذه الحدود، إن الفصل بينهما أدى إلى إما جمود ديني أو إباحية علمية كلاهما مدمر للحضارة، إن العلماء المسلمين الأوائل لم يروا حرجاً في استخدام عقولهم لاستكشاف الكون لأنهم كانوا يوقنون أن عقولهم هبة من الله يجب استخدامها في طاعته، إن منهج التكامل المعرفي يدعو إلى فتح آفاق البحث العلمي وإسعاداً ولكن ضمن السياج الأمني الذي يوفره الوحي الإلهي، وهذا المنهج هو القادر على إنتاج علم نافع مستقر لا يتقلب مع الأهواء.

الاستخلاف في الأرض ومسؤولية الإنسان تجاه الكون

إن مفهوم الاستخلاف يغير جذرياً نظرة الإنسان للكون فهو ليس مالكاً متصرفاً بل أمين مستأجر مسؤول عن الحفاظ على الموارد وعدم إهدارها، إن هذا المفهوم يفرض مسؤولية قانونية وأخلاقية على العلماء تجاه

البيئة والكائنات الحية الأخرى التي تسبح الله بحمده،
إن الاستغلال الجائر للطاقة والتلوث البيئي يعتبر خيانة
للأمانة الإلهية وليس مجرد خطأ تقني قابل للإصلاح،
إن الوعي بمسؤولية الاستخلاف يولد لدى الباحث
العلمي شعوراً بالمراقبة الدائمة مما يرفع من مستوى
الالتزام الأخلاقي في التعامل مع الموارد الطبيعية، إن
الأرض وقف على الأجيال القادمة ولا يجوز للجيل
الحالي استنزافها لصالح رفاهية مؤقتة على حساب
مستقبل البشرية.

المساءلة يوم القيامة كرادع أخلاقي أقوى من القانون

إن اليقين بالمساءلة يوم القيامة حيث لا تظلم نفس
شيئاً هو الرادع الأقوى والأعمق لأي انحراف أخلاقي
في مجال البحث العلمي، فالقوانين الوضعية قد يفلت
منها المجرم بذكائه أو نفوذه ولكن عدل الله لا يظلم
مثقال ذرة، إن هذا البعد الأخروي يزرع رقابة ذاتية

دائمة في نفس العالم المؤمن تجعله يمتنع عن الغش في النتائج أو إخفاء الأضرار الجانبية لتجربته، إن المجتمع الذي يسود فيه هذا الوعي يكون أكثر أماناً وثقة في منتجاته العلمية من المجتمع الذي يعتمد فقط على الرقابة الخارجية التي قد تتعطل أو تفسد، إن الإيمان بالآخرة هو الضمان الحقيقي لنزاهة العلم وشفافيته.

أخلاقيات الطب والحفاظ على حرمة الجسد البشري

يعد مجال الطب من أكثر المجالات حساسية من الناحية الأخلاقية لأنه يتعلق مباشرة بالحياة والموت ويجسد الإنسان الذي كرمه الله، إن الدين يضع ضوابط صارمة تحرم الاعتداء على الجسد البشري إلا للضرورة القصوى وبأقل ضرر ممكن، فالتجارب على البشر يجب أن تخضع لموازن دقيقة تحفظ الكرامة الإنسانية ولا تجعل الإنسان مجرد فأر تجارب، إن التدخل في عملية

الموت أو إطالة الحياة بشكل مصطنع يتعارض مع قدر الله وقضائه ويجب أن يكون العلاج ضمن الأطر الشرعية، إن الطبيب المسلم ينظر إلى نفسه كأداة للشفاء بإذن الله وليس صاحب الشفاء مما يمنعه من الغرور ويحمي المريض من الاستغلال.

الهندسة الوراثية بين العلاج والتدخل في خلق الله

تثير الهندسة الوراثية إشكاليات عميقة تتعلق بهوية الإنسان وحدود التدخل المسموح به في التركيبة البيولوجية، والدين يفرق بوضوح بين العلاج الجيني لإزالة الأمراض الوراثية وهو أمر جائز بل ومندوب إليه وبين التحسين الجيني لتغيير صفات الخلق وهو أمر ممنوع لأنه تدخل في خلق الله، إن الاستنساخ البشري مرفوض شرعاً لأنه يخل بالنسب ويهدد البناء الأسري الذي هو لبنة المجتمع الأساسية، إن الضوابط الشرعية هنا ليست كوابح للتقدم بل هي أسوار

حماية تمنع تحول البشر إلى كائنات مصنعة تفقد روحها وإنسانيتها، إن العلم يجب أن يخدم الفطرة الإنسانية لا أن يلغيها أو يشوهها.

الذكاء الاصطناعي ومسألة المسؤولية القانونية والأخلاقية

يطرح الذكاء الاصطناعي تحدياً جديداً يتعلق بتحديد المسؤول عن الأضرار الناتجة عن قرارات الآلة المستقلة، والدين يقرر بوضوح أن التكليف والمسؤولية خاصان بالإنسان وحده وأن الآلة لا تملك إرادة ولا ذمة أخلاقية، لذا فإن المبرمج والشركة المصنعة هما المسؤولان شرعاً وقانوناً عن كل فعل تقوم به الخوارزمية، إن تفويض القرارات المصيرية للآلة مرفوض لأن الرحمة والعدل صفات إنسانية إلهية لا تحاكيها البرمجيات، يجب أن يبقى الإنسان هو صانع القرار النهائي في الأمور المصيرية وأن يكون الذكاء

الاصطناعي أداة مساعدة وليس بديلاً عن العقل
البشري المسؤول أمام الله.

حماية البيئة والتوازن الكوني كواجب ديني

إن حماية البيئة والمناخ من أكبر التحديات العلمية في عصرنا الحالي والإسلام يسبق كل المواثيق الدولية في الدعوة إلى حفظ التوازن البيئي وعدم الإفساد في الأرض، إن الإسراف في الطاقة وتلويث المياه والهواء يعتبر من الكبائر لأنه اعتداء على نعم الله المشتركة، إن العلماء مطالبون بتطوير تقنيات نظيفة تحافظ على الكوكب للأجيال القادمة لأن الأرض ليست ملكاً لجيل واحد بل هي وقف للإنسانية كلها، إن التغير المناخي هو نتيجة مباشرة لانحراف الإنسان عن منهج الله في الاستخلاف الراشد والعودة إلى القيم الدينية هي السبيل الوحيد لإقناع الدول بالتضحية ببعض الأرباح من أجل سلامة الكون.

إدارة الموارد الطبيعية والعدل في التوزيع

تتطلب إدارة الطاقة والموارد الطبيعية حكمة عالية لتجنب النزاعات والحروب والدين يعلمنا أن الموارد هي رزق من الله يجب توزيعها بالعدل وعدم احتكارها، إن العلم الذي يساعد على استخراج الطاقة يجب أن يقترن بأخلاق التوزيع العادل بين الشعوب ولا يجوز استخدام التفوق التقني في استغلال موارد الدول الضعيفة، إن مفهوم الغنيمة والفبيء في الإسلام يضع ضوابط لكسب المال من الموارد العامة والعلماء مطالبون بأن يكونوا أمناء على هذه الموارد وأن يبحثوا عن بدائل مستدامة لا تنضب، إن النعم التي أنعم الله بها علينا يجب أن تشكر بالاستخدام الأمثل وليس بالإهدار.

الخصوصية الفردية في عصر البيانات الضخمة

في عصر البيانات الضخمة أصبحت الخصوصية الفردية مهددة بشكل غير مسبوق والدين يحرم التجسس ويحفظ حرمة البيوت والأسرار فلا يجوز للشركات التقنية جمع بيانات الناس دون علمهم أو استخدامها ضد مصالحهم، إن انتهاك الخصوصية هو انتهاك لحرمة الإنسان الذي كرمه الله والعلماء المختصون بالأمن السيبراني مطالبون شرعاً بحماية بيانات الناس كما يحمون أعراضهم، إن بناء أنظمة تقنية تحترم الخصوصية هو واجب أخلاقي وديني ويجب أن تكون الشفافية هي الأساس في التعامل مع بيانات المستخدمين لضمان الثقة والأمان في العالم الرقمي.

أخلاقيات التكنولوجيا العسكرية وحدود الاستخدام
المشروع

يمثل تطوير التكنولوجيا العسكرية واستخدامها في الحروب اختباراً صعباً لأخلاقيات العلم والإسلام يضع قواعد صارمة للحرب تحرم قتل النساء والأطفال والشيوخ وتحرم التمثيل بالجثث وتخريب العمران، فلا يجوز للعلماء تطوير أسلحة دمار شامل لا تفرق بين محارب ومدني أو تلوث البيئة لفترات طويلة، إن العلم يجب أن يكون أداة للدفاع عن الحق وليس أداة للعدوان والظلم وأي بحث علمي يهدف إلى إيذاء البشر هو بحث آثم، وعلى العلماء توجيه جهودهم نحو تقنيات السلام والإعمار بدلاً من تقنيات الموت والخراب فالقوة الحقيقية هي قوة الحق.

دور التعليم في غرس القيم الأخلاقية العلمية

التعليم هو المصنع الذي يخرج الأجيال العلمية ولذا يجب أن تكون أخلاقيات العلم جزءاً أساسياً من المناهج الدراسية في جميع المراحل ولا يكفي تدريس المهارات التقنية دون غرس القيم الدينية والمسؤولية المجتمعية، إن الطالب يجب أن يعلم أن علمه أمانة وأن الله يراقبه في امتحاناته وفي أبحاثه إن إصلاح التعليم يبدأ بإصلاح عقيدة الطلاب وربطهم بخالقهم فالمعلم قدوة يجب أن يظهر التزامه الديني في تعامله مع العلم والمدارس والجامعات يجب أن تكون بيئة حاضنة للإيمان والعمل الصالح.

دور المؤسسات الدينية في توجيه البوصلة الأخلاقية

تلعب المؤسسات الدينية دوراً محورياً في توجيه البوصلة الأخلاقية للعلم ويجب على العلماء الشرعيين مواكبة التطورات التقنية لإصدار فتاوى مستنيرة تنظم التعامل معها، فلا يجوز السكوت عن المستجدات حتى

تتفاقم المشاكل إن التعاون بين العلماء المتخصصين والفقهاء هو السبيل الأمثل لضبط المسار فالمجلس العلمي المشترك يمكنه دراسة الآثار البعيدة للتقنيات قبل إقرارها إن دور المجامع الفقهية يجب أن يتعزز ليكون صوتاً مسموعاً في المحافل العالمية حول أخلاقيات العلم فالدين ليس طوقساً فقط بل هو منهج حياة.

التعاون الدولي العلمي ومبادئ العدل والرحمة

يجب أن يقوم التعاون الدولي في مجال العلم على مبادئ العدل والرحمة وليس على الاستغلال والهيمنة والدين يدعو إلى التعاون على البر والتقوى وينهى عن التعاون على الإثم والعدوان، فلا يجوز للدول المتقدمة احتكار التقنيات الحيوية أو الأدوية عن الدول الفقيرة مما يؤدي لوفاة الملايين إن العلم ملك للإنسانية كلها وهو من فضل الله الذي لا ينبغي حجبهِ عن عباده

ويجب إنشاء معاهدات دولية تحمي حقوق الشعوب
الضعيفة في الوصول للتقنية العلاجية والغذائية
فالعلمة العلمية يجب أن تكون إنسانية رحيمة تحفظ
كرامة كل إنسان.

العلم كعبادة ودوافع الباحث المؤمن

العلم في الإسلام هو نوع من العبادة إذا صحّت النية
ووافق الشرع فالبحث في الكون هو تدبر لآيات الله
والصبر على التجارب هو نوع من الجهاد في سبيله
وهذا يغير دوافع الباحث من الشهرة إلى الرغبة في
ثواب الله إن تحويل العمل العلمي إلى عبادة يزيل
التعب والملل ويمنح الباحث طاقة روحية هائلة كما أنه
يبارك في الوقت والجهد ويجعل للعلم بركة في النتائج
فالعلماء الذين عبدوا الله بعلمهم تركوا إرثاً خالداً نفع
الناس به في الدنيا وفازوا بالأجر في الآخرة.

التوازن بين التقدم العلمي والتقاليد الدينية

التوازن بين التقدم العلمي والتقاليد الدينية ضروري لاستقرار المجتمعات فلا يجوز رفض العلم بحجة الحفاظ على الدين كما لا يجوز هدم الدين بحجة مواكبة العلم إن الإسلام دين الفطرة وهو يتسع لكل اكتشاف صحيح لا يخالف نصاً قطعياً والمشكلة تكمن في التفسيرات الخاطئة أو في التطبيقات المنحرفة للعلم والحوار الهادئ بين العلماء ورجال الدين يزيل سوء الفهم ويبني جسور الثقة إن المجتمع الذي يجمع بين المساجد والمختبرات هو المجتمع الأقدر على النهوض الحضاري.

آفة الكبر والغرور في الوسط العلمي

الكبر والغرور من أكبر آفات العلماء التي قد تؤدي إلى سقوطهم أخلاقياً وعلمياً والتاريخ مليء بقصص علماء ظنوا أنهم تجاوزوا حدود البشر فانهاروا والدين يعلمنا التواضع وأن كل علمنا قطرة من بحر علم الله فالاعتراف بالجهل في بعض المجالات هو بداية التعلم الحقيقي والعالم المتواضع هو الأكثر قبولاً للنقد والأكثر قدرة على التصحيح إن الخشوع أمام عظمة الخالق يحمي العالم من الزلل ويحفظه من الغرور الذي يعمي البصيرة وعلى المؤسسات العلمية أن تكافئ التواضع والنزاهة قبل أن تكافئ الإنجازات الكمية.

التنوير الحقيقي عبر بوابة الإيمان

الطريق إلى التنوير الحقيقي يمر عبر بوابة الإيمان وليس عبر بوابة الإلحاد المادي فالتنوير الذي يقصي

الله هو ظلام في حد ذاته لأنه يضع الهدف من الوجود إن الأنوار العلمية الحقيقية هي تلك التي تضيء طريق الإنسان إلى ربه وتزيدهُ يقيناً والكتاب المقدس يدعونا للنظر في الكون وهذا هو جوهر المنهج العلمي الصحيح لذا فإن النهضة العلمية في العالم الإسلامي مرتبطة حتماً بالعودة إلى الله والاعتزاز بالهوية الدينية لا نهضة بلا هوية ولا تقدم بلا أخلاق.

مسؤولية العلماء أمام الله والبشرية

مسؤولية العلماء أمام الله وأمام البشرية مسؤولية جسيمة لا تحتمل التفريط فالعالم ليس مجرد موظف ينتج أبحاثاً بل هو حامل رسالة إصلاح وعليه أن يزن كل اكتشاف بميزان الشرع والمصلحة العامة فإن تعارض البحث مع الثوابت الدينية وجب إيقافهُ أو تعديله إن الشجاعة العلمية تتطلب الوقوف في وجه الضغوط التجارية أو السياسية عندما تتعارض مع الحق

والعلماء الصادقون هم شهداء الأرض الذين يدافعون عن الحقيقة حتى لو كلفهم ذلك مناصبهم أو أموالهم فالله يكفيهم وهو نعم الوكيل.

رؤيتنا للحضارة المستقبلية الإنسانية

رؤيتنا للحضارة المستقبلية هي حضارة إنسانية روحانية تقدر العلم وتقدس الأخلاق حضارة لا تفصل بين المادة والروح ولا بين الدنيا والآخرة إن التكنولوجيا في هذه الحضارة ستكون خادمة للإنسان لا سيداً له وستكون البيئة محمية ومصانة كجزء من العقيدة وسيتم توزيع الثروات العلمية بالعدل بين شعوب الأرض إن هذا الحلم ليس خيلاً بل هو واجب شرعي يعمل كل مؤمن على تحقيقه في مجاله إن بناء هذه الحضارة يحتاج إلى جيل جديد يؤمن بأن الله هو الغاية وأن العلم هو الوسيلة.

دعوة عالمية لربط السماء بالأرض

في الختام إن الرسالة التي يحملها هذا الكتاب هي دعوة عالمية لكل باحث وطالب ومعلم دعوة لربط الحبل المقطوع بين السماء والأرض وبين العلم والدين إن الله خلق الكون بقدر وجعل فيه آيات للمتقين والعلم هو المفتاح لفهم هذه الآيات فلا نحقرن الدين في معادلة التقدم ولا نحقرن العلم في معادلة الإيمان إن التكامل بينهما هو سر النجاح وسبيل النجاة وعلى كل من يقرأ هذه السطور أن يكون سفيراً لهذا المنهج في محيطه وعمله لنصنع معاً عالماً يسوده السلام والعدل.

الخاتمة والعودة إلى الله

والخاتمة مسك فإن الله هو النهاية والعودة وكل علم لا يقرب إلى الله فهو زائل نسأل الله أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به البشرية جمعاء وأن يهدي علماء المسلمين إلى الطريق المستقيم الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة إن المستقبل بيد من يتقي الله ويحسن العمل والعلم نور إذا اقترن بالإيمان كان شمساً لا تغرب فليكن هذا الكتاب منارة تهدي بها السفن في بحر العلم المتلاطم وليكن شعارنا دائماً الله أكبر ومنه النعمة والفضل.

تم بحمد الله وتوفيقه

د. محمد كمال عرفه الرخاوي

حقوق الملكية الفكرية محفوظة للمؤلف